الحسم الإلهي للفساد في سورة القصص قصة فرعون نموذجاً من خلال تفسير " في ظلال القرآن "

Samy Mohamed Elsahker Abdelazeez ⁱ, Muhammad Lukman Ibrahim ⁱⁱ

ⁱ (Corresponding author). Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia. Email: samymo1957@gmail.com

ⁱⁱ Senior Lecturer, Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia. Email: mdlukman@usim.edu.my

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة الى تقديم دراسة تحليلية لفساد فرعون كما وردت في سورة القصص وإبراز الآثار النفسية والعقوبات الإلهية المترتبة على الفساد من خلال تفسير معاصر " في ظلال القرآن ". وتستخدم الورقة المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي، لاستخلاص مرتكزات فساد فرعون وطغيانه، واستنباط التبعات النفسية والاجتماعية التي أثرت على بني إسرائيل بسبب معاناتهم من قمع واضطهاد فرعون لهم، ثم تعرض الورقة كيف حسم التدخل الإلهي فساد فرعون حين عجز الناس عن مواجهته.

الكلمات المفتاحية: الحسم الإلهي، موسى، فرعون، الفساد

مقدمة البحث:

تعد سورة القصص من السور القرآنية الغنية بالدروس والعبر التي تتناول مواضيع متعددة تتعلق بالسلوك الإنساني، ومن ضمنها الفساد، ويتجلى الفساد في صورتين في هذه السورة وهما فساد الحكم والسلطان بقصة موسى وفرعون، والثاني قصة قارون مع قومه كمظهر للفساد المترتب على الثروة والعلم، ومن خلال دراسة هذه السورة، يمكن استنباط المبادئ القرآنية التي تحذر من الفساد لما له من عواقب وخيمة على الأفراد والمجتمعات، وقد فطر الله هذا الكون على الصلاح وكل ما خالف هذه الفطرة فهو فساد، وكلمة الفساد إذا دخلت على أي مجتمع هي عبارة عن شر دخل على هذا المجتمع، وقد أشار الله الي هذه القضية حين أراد خلق الإنسان كما ورد في قول الملائكة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَمْحُؤُ نُسُجًا بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة [30]

ومواجهة الفساد هي قضية الأنبياء منذ بعثوا، ولم يتناول رسل الله قضية الفساد كقضية يمكن إصلاحها، بل كقضية يجب اجتثاثها لأن أصل الكون قائم على الصلاح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ الأعراف [56]

وكل نبي من الأنبياء عليهم السلام تعرض لقضية من قضايا الفساد، على سبيل المثال سيدنا لوط عليه السلام عالج قضية الانحراف الجنسي

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ

الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

مُشْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ

أُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ الأعراف [82-80]

وكذلك سيدنا شعيب عالج قضية اقتصادية

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾

الشعراء [183-181] وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

وهذا البحث يعالج قضية فساد فرعون من خلال تفسير آيات من سورة القصص حيث أرسل الله سيدنا موسى الى فرعون لمعالجة قضية جبروت الحكم والسلطان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي

الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَالِقِينَ ﴿٣٩﴾ العنكبوت [39]

منهج البحث:

- ينتهج الباحث بإذن الله تعالى المنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال الآتي:
1. المنهج الاستقرائي: وذلك عن طريق الاستقراء لموضوع البحث بتتبع الجزئيات للوصول إلى مفاهيم شاملة للموضوع.
 2. المنهج التحليلي: هو المنهج الذي يصف ما هو كائن ثم تفسيره وتحليله للخروج بنتائج ذات دلالة لموضوع البحث⁽⁵⁹⁵⁾ وبالتالي تحليل الآيات المتعلقة بفساد فرعون في سورة القصص.
 3. المنهج الاستنباطي: وذلك باستنباط الدروس والعبر من قصة موسى عليه السلام وفرعون للاستفادة منها في الواقع المعاصر.

مشكلة البحث:

يركز هذا البحث في تحليل صورة من صور الفساد التي وردت في سورة القصص وهي فساد الحكم والسلطان بقصة موسى وفرعون، والآثار السلبية التي تترتب على انتشار الفساد، وتتركز المشكلة في الحاجة إلى دراسة تحليلية لفساد فرعون، حتى نصل إلى استخلاص العبر والعظات بماورد في القصة بما يثبت القلوب في هذا الواقع الذي يعيش فيه المسلمون ضغوط هائلة مشاهدة لما عايشه المسلمون عندما نزلت سورة القصص، وذلك من خلال تفسير معاصر لما يعايشه المسلمون من واقع تتجلى فيه أشكال مختلفة من ضروب الفساد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ

هود [120]

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

أسئلة البحث:

1. ما هو الفساد لغة واصطلاحاً؟
2. كيف عرضت السنة النبوية الفساد؟

(595) جابر عبد الحميد وأحمد خيرى كاظم. 2002 م. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. دار النهضة: القاهرة. ص. 42

3. ما هي أسس وطريقة كتابة الشيخ سيد قطب تفسيره في ظلال القرآن؟
4. كيف جسد سيد قطب بمنهجه الفساد في قصة موسى عليه السلام وفرعون؟
5. كيف كان الحسم الإلهي في قصة موسى عليه السلام وفرعون؟

أهداف البحث:

1. تحليل النص القرآني من سورة القصص في قصة موسى عليه السلام وفرعون.
2. دراسة الفساد في قصة موسى عليه السلام وفرعون.
3. استنباط العواقب المترتبة على الفساد سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات.

أهمية البحث:

1. تسليط الضوء على مفهوم الفساد من منظور قرآني.
2. كيفية معالجة القرآن لظاهرة الفساد من خلال القصص والأحداث.
3. تقديم رؤى قرآنية للمساهمة في مكافحة الفساد.

المبحث الأول:

المطلب الأول: الفساد في اللغة والاصطلاح:

الفساد في اللغة: هو نقيض الصلاح، والاستفساد خلاف الاستصلاح، والمفسدة خلاف المصلحة، وتعني الضرر⁽⁵⁹⁶⁾، ويطلق الفساد على أكل المال ظلماً⁽⁵⁹⁷⁾، وقد يراد منه: إلحاق الضرر بالآخرين⁽⁵⁹⁸⁾.

الفساد في الاصطلاح: هو خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان أو كثيراً⁽⁵⁹⁹⁾، أو هو العدول عن الاستقامة إلى ضدها⁽⁶⁰⁰⁾، أو هو التغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة⁽⁶⁰¹⁾.

⁵⁹⁶) معجم مقاييس اللغة 503/4، الصحاح للجوهري، لسان العرب 335/3

⁵⁹⁷) (القاموس المحيط، مادة: فسد.

(3) المعجم الوسيط 688/2.

(4) مفردات الفاظ القرآن للراغب 688/2.

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 202 / 1.

(6) الفروق اللغوية للعسكري ص 214.

المطلب الثاني: تعريف السنة النبوية للفساد:

ويأتي تعريف السنة النبوية للفساد بمعنى: تلف الشيء وذهاب نفعه، من قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"⁽⁶⁰²⁾، ويأتي بمعنى تغير الحال، فعن إبراهيم ابن المغيرة، أو ابن أبي المغيرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طوبى للغرباء"، قيل ومن الغرباء؟ قال: "قوم يصلحون حين يفسد الناس"⁽⁶⁰³⁾، ويأتي كذلك بمعنى: إضاعة الأموال وعدم حفظها، فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسكوا عليكم أموالكم، ولا تفسدوها"⁽⁶⁰⁴⁾.

المبحث الثاني: أسس وطريقة الشيخ سيد قطب رحمه الله في تفسيره في ظلال القرآن.

المطلب الأول: الأسس التي بني عليها الشيخ سيد قطب رحمه الله تفسيره في ظلال القرآن.

تميز تفسير في ظلال القرآن بربط الآيات بواقع المسلمين الحالي، وذلك كما أوضح الشيخ سيد قطب رحمه الله⁽⁶⁰⁵⁾ في مقدمة التفسير حيث قال رحمه الله في مقدمة الطبعة الأولى: "كل ما حاولته ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روحي، وتحجب روحي عن القرآن" كما يقول رحمه الله: "الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزيهه والحمد لله، لقد عشت أسمع الله - سبحانه - يتحدث إليّ بهذا القرآن، أنا العبد القليل الصغير، وعشت - في ظلال القرآن-⁽⁶⁰⁶⁾ أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدنا الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله، وعشت - في ظلال القرآن - أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود أكبر في حقيقته، وما يناله الإنسان من شيء في هذه الأرض ليس نصيبه، إنما هو قسط من ذلك النصيب، أي راحة، وأي سعة وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟ وعشت - في ظلال القرآن - أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد، إنه إنسان بنفخة من روح الله، ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الأصرة التي يتجمع عليها البشر هي الأصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة، جعلها أصرة العقيدة في الله، فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله، ومن ثم يتجمع

(7) أخرجه البخاري في الإيمان برقم 52، ومسلم في المساقاة برقم 1599، واللفظ عن النعمان بن بشير رضى الله عنه.

(8) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 237/13 برقم 235.

(9) أخرجه مسلم في الهبات برقم 1625.

⁽⁶⁰⁵⁾ سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 1 ص 11 = 15

⁽⁶⁰⁶⁾ سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 1 ص 11 = 15

البشر عليها وحدها، والمؤمن ذو نسب عريق، وضارب في شعاب الزمان، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (المؤمنون: ٥٢)

هذا الموكب الكريم، الممتد في شعاب الزمان من قديم، يواجه- كما يتجلى في ظلال القرآن- مواقف متشابهة، وأزمات متشابهة، وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكر الدهور، وتغير المكان، وتعدد الأقسام، يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى، والاضطهاد والبغي، والتهديد والتشريد، ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير، واثقا من نصر الله، متعلقا بالرجاء فيه، متوقعا في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد: قال الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) (إبراهيم: 13، 14) وفي ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء، ولا للفتنة العارضة قال الله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: ٤٩)، ومن ثم عشت- في ظلال القرآن- (607) هادئ النفس، مطمئن السريرة، قريح الضمير، عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر، عشت في كنف الله وفي رعايته.

وانتهيت من فترة الحياة - في ظلال القرآن- (608) إلى يقين جازم حاسم إنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله، والرجوع إلى الله- كما يتجلى في ظلال القرآن- له صورة، واحدة، وطريق واحد لا سواه، إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم.

والبشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه، (609) ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه، ولا تسلك في أمر نفسها، وفي أمر إنسانيتها، وفي أمر سعادتها أو شقتها، ما تعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة، وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز، ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه، فترده إلى المصنع الذي منه خرج، ولا أن تستفتي المبدع الذي أنشأ هذا الجهاز العجيب، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف، الذي لا يعلم مساره ومداخله إلا الذي أبدعه وأنشأه.

(607) سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 1 ص 11/1 = 15

(608) سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 1 ص 11/1 = 15

(3) سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 1 ص 11/1 = 15

ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا في تاريخها⁽⁶¹⁰⁾ ونكبة قاصمة في حياتها، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا في كل ما ألم بها من نكبات، حيث تقف الحضارة المادية اليوم، تقف كالطائر الذي يرف بجناح واحد جبار، بينما جناحه الآخر مهيبض، فيرتقي في الإبداع المادي بقدر ما يرتكس في المعنى الإنساني ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية ما يصرخ منه العقلاء هناك، لولا أنهم لا يهتدون إلى منهج الله، وهو وحده العلاج والدواء.

المطلب الثاني: طريقة الشيخ سيد قطب رحمه الله في التفسير:

ومما يفيد أن نلخص أن سيد قطب رحمه الله سار في هذا التفسير الفريد على الشكل التالي:

- التعريف بالسورة وما اشتملت عليه من موضوعات بشكل دقيق جدا، وهذا في كل سور القرآن.
- الكلام عن السورة مكية أو مدنية بشكل واضح.
- قسمه لثلاثين جزءا حسب تقسيمه المعروف وقد تكلم عن موضوعات كل جزء بشكل مختصر.
- ذكر أسباب نزول السور أو الآيات بشكل واضح ودقيق، وقد يرجح سببا على آخر.
- تقسيم السورة إلى وحدات موضوعية، ووضع لكل وحدة عنوانا مناسباً لها بشكل دقيق وعميق.
- الكلام عن الوحدة بشكل موجز في الغالب يبين مغزاها، والموضوعات الجزئية التي اشتملت عليها.
- قسم كل وحدة إلى دروس متعددة حسب طول الوحدة وموضوعاتها.
- والتعقيب على قصص الأنبياء نوح عليه السلام، وهود عليه السلام، ويوسف عليه السلام.
- وقد يعقب على بعض السور، كما في سورة الرعد.
- وقد يعقب على سور كثيرة في مكان واحد كما في تعقبه النفيس على سورة المطففين.
- ربط بين القرآن الكريم والعلم الحديث بشكل واضح وجلي في العديد من الأمكنة.
- ركز على حكمة التشريع "كما في كلامه عن الحكمة من تعدد الزوجات في الإسلام.
- دافع عن الإسلام بكل قوة وردَّ على جميع المذاهب الأرضية المخالفة للإسلام.
- ربط بين القرآن والسيرة والنبوية لأنها التفسير العملي الحي للقرآن الكريم.

⁽⁶¹⁰⁾ سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 1 ص 11 = 15

- ردّ على الإسرائيليات، ورفضها بشكل قاطع مثل تعليقه على قصة النبي أيوب عليه السلام (611).
- الربط بين القرآن والحياة ربطا دقيقا جدا.
- بين دور الأمة المسلمة في حمل رسالة الإسلام إلى العالم من جديد.
- بين أن المناهج الأرضية كلها غير قادرة على إصلاح النفس الإنسانية.
- كشف حقيقة أهل الكتاب وبيان مؤامراتهم على الإسلام والمسلمين.
- التأكيد على بقاء الصراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة.
- أكد في كثير من المواضع على أهمية الولاء والبراء في حياة المسلمين.
- تكلم عن المنهج الحركي للإسلام بشكل مفصل.

المبحث الثالث: الفساد في قصة فرعون

كان فساد فرعون فساداً سياسياً وحكومياً، تمثل في استبداده بالسلطة والسيطرة على الناس واستعبادهم، وكان يستخدم سلطته السياسية لإذلال بني إسرائيل، وأراد أن يفرض نفسه كإله على قومه، مؤسساً بذلك مملكة قائمة على الظلم والاستبداد، حيث كان يعتقد أنه إله على قومه، متجاوزاً حدود السلطة التي أعطيت له من الله، لقد طغى وتجبر، معتقداً أن له القدرة المطلقة في التحكم بمصائر الناس.

المطلب الأول: طغيان فرعون وأجواء ولادة موسى الآيات من 1_6: (612)

تبدأ سورة القصص بالأحرف المقطعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿طَسَرَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ [النقص 1، 2]

تبدأ السورة بهذه الأحرف للتنبيه إلى أنه من مثلها تتألف آيات الكتاب المبين

قَالَ تَعَالَى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الفصص 3]

(611) سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 17 ص 2391/4

(1) سيد قطب. 2003م. في ظلال القرآن. دار الشروق. ج 20 ص 2671/5

فهذا الكتاب المبين ليس إذن من عمل البشر، إنما هو الوحي الذي يتلوه الله على عبده، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون، فإلى القوم المؤمنين يوجه هذا الكتاب، وهذه التلاوة المباشرة من الله تلقي ظلال العناية والاهتمام بالمؤمنين، وتشعرهم بقيمتهم العظيمة ومنزلتهم العالية الرفيعة، وبعد هذا الافتتاح يبدأ في عرض النبأ، نبأ موسى وفرعون، يبدأ في عرضه منذ أول حلقة في القصة - حلقة ميلاده - ولا تبدأ مثل هذا البدء في أية سورة أخرى من السور الكثيرة التي وردت فيها، ذلك أن الحلقة الأولى من قصة موسى، والظروف القاسية التي ولد فيها، وتجرده في طفولته من كل قوة ومن كل حيلة، وضعف قومه، ذلك كله هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي، ويبرز يد القدرة سافرة متحدية تعمل وحدها بدون ستار من البشر، وتضرب الظلم والطغيان والبغي ضربة مباشرة عندما يعجز عن ضربها البشر، وتنصر المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة، وتمكن للمعذبين الذين لا حيلة لهم ولا وقاية، وهو المعنى الذي كانت القلة المسلمة المستضعفة في مكة في حاجة إلى تقريره وتبنيته، وكانت الكثرة المشركة الباغية الطاغية في حاجة إلى معرفته، ولقد كانت قصة موسى - عليه السلام - تبدأ غالباً في السور الأخرى من حلقة الرسالة - لا من حلقة الميلاد - حيث يقف الإيمان القوي في وجه الطغيان الباطني، ثم ينتصر الإيمان وينخذل الطغيان في النهاية، فأما هنا فليس هذا المعنى هو المقصود، إنما المقصود أن البغي حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر، بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم، فتنتقذ عناصر الخير فيهم وتربيههم وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ

يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾

[4] القصة

وهكذا يرسم المسرح الذي تجري فيه الحوادث، وتتكشف اليد التي تجريها وتتكشف معها الغاية التي تتوخاها، وانكشف هذه اليد وبروزها سافرة بلا ستار منذ اللحظة الأولى مقصود في سياق القصة كلها، فلما كان ذلك الفرعون الطاغية علا في الأرض وتكبر وتجبر وجعل أهل مصر شيعا، كل طائفة في شأن من شئونه، ووقع أشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل، لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه، فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب، ومهما يكن قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف، فقد بقي لها أصل الاعتقاد بإله واحد، وإنكار ألوهية فرعون والوثنية الفرعونية جميعا .

وكذلك أحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد بمئات الألوف، فقد يصبحون إلبا عليه مع جيرانه الذين كانت تقوم بينهم وبين

الفراعة الحروب فابتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته وتلك هي تسخيرهم في الشاق الخطر من الأعمال واستدلالهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب، وبعد ذلك كله تذبذب الذكور من أطفالهم عند ولادتهم واستبقاء الإناث كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم، وبذلك يضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث، وفوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب .

وروي أنه وكل بالحوامل من نسائهم قوابل مولدات يخبرنه بمواليد بني إسرائيل ليبادر بذبح الذكور فور ولادتهم حسب خطته الجهنمية الخبيثة التي لا تستشعر رحمة بأطفال أبرياء لا ذنب لهم ولا خطيئة.

هذه هي الظروف التي تجري فيها قصة موسى عليه السلام عند ولادته كما وردت في هذه السورة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۗ وَنُتِمِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

القصص [5، 6]

ولكن الله يريد غير ما يريد فرعون، ويقدر غير ما يقدر الطاغية، والطغاة البغاة تحذعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم فينسبون إرادة الله وتقديره، ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ويختارون لأعدائهم ما يشاءون، ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون .

والله يعلن هنا إرادته هو، ويكشف عن تقديره هو ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما بأن احتياطهم وحذرهم لن يجديهم فتيلًا، فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ويسومهم سوء العذاب والنكال، وهو مع ذلك يحذرهم ويخافهم على نفسه وملكه، فيبث عليهم العيون والأرصاد ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى السفار كالجزار، هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد، وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيدا ولا تابعين، وأن يورثهم الأرض المباركة التي أعطاهم إياها عندما استحقوها بعد ذلك بالإيمان والصلاح وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوىاء راسخي الأقدام مطمئنين وأن يحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما وما يتخذون الحيلة دونه وهم لا يشعرون.

هكذا يعلن السياق قبل أن يأخذ في عرض القصة ذاتها. يعلن واقع الحال، وما هو مقدر في المآل ليقف القوتين وجها لوجه: قوة فرعون المنتفخة التي تبدو للناس قادرة على الكثير، وقوة الله الحقيقية الهائلة التي تتهاوى دونها القوى الظاهرية الهزيلة التي ترهب الناس.

المطلب الثاني: الأضرار التي لحقت ببني إسرائيل بسبب فساد فرعون

فساد فرعون واستبداده ترك أثراً نفسياً كبيراً على بني إسرائيل، الذين عانوا طويلاً من القمع والاضطهاد في مصر حيث مارس فرعون عليهم الظلم والاستعباد، مما أثر على حالتهم النفسية والاجتماعية، وفيما يلي أهم الآثار النفسية والاجتماعية لفساد فرعون على بني إسرائيل:

1. **الخوف والرهبة المستمرة والعيش تحت التهديد:** فرعون استخدم القوة والعنف لسيطرت سلطته على بني إسرائيل، حيث كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، وهذا العنف المستمر خلق في نفوسهم خوفاً دائماً من البطش والموت.
2. **الخوف من المقاومة:** بسبب الطغيان والقمع الشديدين، شعر بني إسرائيل بالعجز عن المقاومة حيث إن الخوف من الانتقام كان يجعلهم يعيشون في حالة من الاستسلام والإذعان للظلم.
3. **الإحباط والشعور بالعجز وفقدان الأمل في التغيير:** سنوات طويلة من العبودية والاضطهاد جعلت بني إسرائيل يشعرون بالعجز عن تغيير أوضاعهم، وكل محاولة للخروج من هذا الوضع كانت تقابل بمزيد من القمع من قبل فرعون وجنوده، مما أدى إلى شعور بالإحباط وعدم القدرة على الهروب من الظلم.
4. **الاعتماد على المعجزات:** بسبب بأسهم من التغيير بقدرتهم الشخصية، تعلق بني إسرائيل بأمل الخلاص عن طريق المعجزات أو التدخل الإلهي المباشر، كما حدث مع دعوة موسى عليه السلام.
5. **التبعية والخضوع وتعود العبودية:** بني إسرائيل عاشوا فترة طويلة تحت استعباد فرعون، مما جعلهم يعتادون على الخضوع والتبعية والعبودية المتواصلة شكلت جزءاً من حياتهم النفسية، حيث فقدوا الثقة بقدرتهم على العيش بحرية أو اتخاذ قرارات مستقلة.
6. **الصعوبة في قبول الحرية:** بعد الخروج من مصر ومعجزات الله مع موسى عليه السلام، أظهر بني إسرائيل تردداً في مواجهة التحديات الجديدة والعيش بحرية، حيث طلبوا العودة إلى ما اعتادوا عليه من حياة العبودية.
7. **انخفاض الثقة بالنفس والاستسلام للظلم:** الطغيان الذي مارسه فرعون تسبب في تقليل ثقة بني إسرائيل بأنفسهم، فقد عاشوا سنوات تحت الظلم، مما جعلهم يشعرون بأنهم أقل قوة أو أهمية، وغير قادرين على مواجهة النظام الظالم أو التخلص منه.

8. **التبعية النفسية للآخرين:** نتيجة سنوات القمع، أصبح بني إسرائيل معتمدين نفسيًا على القادة مثل موسى عليه السلام، وغير قادرين على اتخاذ قرارات مستقلة أو مواجهة المخاطر بأنفسهم.
9. **الصددمات النفسية والأحداث الصادمة:** قتل الأبناء واستحياء النساء كان له أثر نفسي شديد على بني إسرائيل وهذه الصدمات تركت جروحًا نفسية عميقة وجعلتهم يعيشون في حالة من الحزن والأسى الدائمين.
10. **الأثر العائلي:** تفكك الأسر وفقدان الأبناء أدى إلى تأثيرات عميقة على نفسية الأفراد والأسر، مما تسبب في معاناة نفسية طويلة الأمد، حيث باتت العائلات تعاني من فقدان الأحبة وعدم الأمان.
11. **الاضطراب الديني والتأرجح بين الإيمان واليأس:** رغم أن بني إسرائيل كانوا يؤمنون بالله وبدعوة موسى عليه السلام، إلا أن الطغيان الذي عاشوه جعلهم في بعض الأحيان يشككون في قدرتهم على النجاة وكانوا يتأرجحون بين الإيمان بأن الله سينقذهم واليأس من استمرار العبودية.
12. **البحث عن الأمان الروحي:** في مواجهة الظلم، حاول بني إسرائيل العثور على ملاذ روحي أو قوة خارجية تنقذهم من الظلم، وهذا ما جعلهم يتوقون إلى الخلاص من خلال موسى وآيات الله.
13. **العزلة الاجتماعية والنفسية والانعزال عن المجتمع المصري:** بني إسرائيل كانوا يعانون من التمييز والاضطهاد، مما جعلهم يشعرون بالعزلة الاجتماعية والنفسية عن المجتمع المصري وهذه العزلة جعلتهم يشعرون بألم غرباء في بلادهم، معزولين عن باقي الناس.
14. **الاضطراب النفسي الجماعي:** نتيجة الظلم المتواصل، تطور لديهم شعور جماعي بالمظلومية والعزلة النفسية، وهذا الشعور أدى إلى تماسكهم كجماعة تحت قهر فرعون، لكن في نفس الوقت أضعف قدرتهم على التعامل مع المجتمع الأكبر.
15. **الاستعداد للتغيير النفسي بعد الخلاص:** عندما أنقذهم الله من ظلم فرعون بمعجزة شق البحر، تغيرت حالة بني إسرائيل النفسية تدريجيًا وبدأوا في التحول من حالة الخضوع والاستسلام إلى حالة السعي نحو حياة جديدة، لكنهم ظلوا يواجهون صعوبات نفسية بسبب آثار العبودية الطويلة.

المطلب الثالث: كيف كانت النهاية لفساد فرعون.

تفاصيل نهاية فرعون:

نهاية فساد فرعون كانت مأساوية وملحمية وأبدية كما وردت في القرآن الكريم، حيث كان يطغى في الأرض، ويستبد بشعبه، وينكر وجود الله، ولقي حتفه غرقًا في البحر مع جيشه نتيجة استكباره وطغيانه، وجعل الله جسده عبرة لكل

من يأتي بعده عقابًا إلهيًا، وهذه النهاية تُظهر عاقبة الفساد والظلم والتكبر، وأنه مهما طال الظلم، فإن النهاية لا بد أن تكون الهلاك لمن يطغى في الأرض.

- معجزات موسى وهروب بني إسرائيل: بعد أن رفض فرعون دعوة موسى مرارًا وتكرارًا، أرسل الله عليه وعلى قومه آيات ومعجزات، منها الطوفان والجراد والضفادع والدم، إلا أن فرعون استمر في طغيانه، وفي النهاية، أمر الله موسى بقيادة بني إسرائيل للخروج من مصر هربًا من ظلم فرعون.
- مطاردة فرعون لبني إسرائيل: عندما علم فرعون بخروج بني إسرائيل، قاد جيشه لمطاردتهم، ووصل موسى وقومه إلى البحر، ولم يكن أمامهم مفر، عندها أمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر، فانشق البحر إلى طريق يابس.
- غرق فرعون: عندما دخل فرعون وجيشه في البحر لمطاردة موسى وبني إسرائيل، أمر الله البحر أن يعود إلى حاله الطبيعي، فغرق فرعون وجيشه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا

لَمَذْرُؤُونَ ﴿ ٦١ ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ ٦٢ ﴾

الشعراء [62-60]

- اعتراف فرعون في اللحظة الأخيرة: في لحظة غرقه، أدرك فرعون الحقيقة واعترف بإيمانه بالله، ولكنه كان اعترافًا متأخرًا، ولكن الله لم يقبل إيمانه في تلك اللحظة لأنه جاء بعد فوات الأوان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى

إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ ٩٠ ﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ٩١ ﴾

يونس [91، 90]

- جعل جسده عبرة: بعد غرقه، أبقى الله جسد فرعون ليكون عبرة للأجيال القادمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ

عَن ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿ ٩٢ ﴾

يونس [92]

الخلاصة:

وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

1. العواقب الوخيمة للطغيان والفساد: قصة فرعون في سورة القصص تبرز العواقب الوخيمة للطغيان والفساد، وتذكّر الناس بضرورة التحلي بالعدل والرحمة، والابتعاد عن الظلم والاستبداد، حيث إن الطغيان يؤدي في النهاية إلى الهلاك، مهما بلغ من قوة وسلطان.
2. ضرورة التوبة والرجوع إلى الله: فرعون ظل مكابراً حتى اللحظة الأخيرة، وحاول التوبة عند الغرق، ولكن توبته لم تُقبل لأنه لم يكن صادقاً في إيمانه، والتوبة يجب أن تكون في الوقت المناسب وقبل فوات الأوان، والإنسان لا يجب أن ينتظر حتى يرى العقوبة ليتوب، بل عليه أن يبادر بالتوبة فور علمه بخطئه.
3. الطغيان والغرور بالسلطة: الغرور بالسلطة والقوة يؤدي إلى الهلاك وأن الله هو المالك الحقيقي لكل شيء، والسلطة اختبار وليست امتيازاً مطلقاً، ويجب أن يستخدم الحاكم سلطته بالعدل والخوف من الله.
4. الظلم والاستبداد ضد الشعب: والظلم، مهما طال أمده، لا يمكن أن يستمر بلا حساب.
5. الاعتماد على الجبروت والقوة العسكرية: الاعتماد على القوة المادية وحدها دون الأخذ بعين الاعتبار العدالة والحق لا يجلب إلا الهلاك.
6. إنكار النبوة وآيات الله: فرعون أنكر نبوة موسى عليه السلام رغم الآيات الواضحة التي أرسلها الله لإثبات الرسالة واستكبر عن قبول الحق ورفض أن يتبع موسى رغم الأدلة الدامغة، التي كانت واضحة كالشمس، وذلك دليل على قلب متحجر لا يريد الهداية.
7. التمسك بالدنيا والزينة الفانية: التعلق بالماديات والمظاهر الفانية يُبعد الإنسان عن الحق والعدل، وعلى الإنسان أن يدرك أن هذه الحياة زائلة، وأن العمل الصالح هو الذي يدوم ويشفع له في الآخرة.
8. الجزاء من جنس العمل: الله أغرقه بالماء الذي كان يعتقد أنه يسيطر عليه، وأهلكه بنفس القوة التي ظن أنها تحميه، والجزاء من جنس العمل، والظالم الذي يعتقد أنه في مأمن من العقاب سيواجه في النهاية عاقبة أفعاله، الله يمهّل ولا يمهّل، والظالم سيدوق من نفس الكأس التي أذاقها للآخرين.
9. العناد في مواجهة الحق: كان فرعون عنيداً في مواجهة الحق، واستمر في ظلمه وجبروته حتى بعد أن رأى الآيات والمعجزات، حتى لحظة غرقه، لم يتوب أو يعترف بخطئه، ويجب على الإنسان أن يكون مستعداً لتغيير مساره والاعتراف بأخطائه قبل فوات الأوان.
10. التحذير من التكبر والاستبداد: قصة فرعون جاءت كتحذير لكل من يتولى السلطة أو النفوذ من مغبة التكبر والطغيان، وفرعون هو رمز لكل مستبد يستغل قوته وسلطته لإذلال الآخرين، وصاحب السلطة يجب أن يتذكر

أنه مسؤول أمام الله عن تصرفاته وأن عدالة الله ستأخذ مجراها عاجلاً أو آجلاً.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم. (1436 هـ). برنامج مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي. المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الأصفهاني، العلامة الراغب. (2022). مفردات ألفاظ القرآن. دمشق، دار القلم.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (2021). صحيح البخاري. الدمام، دار ابن الجوزي.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (2013). الجامع لأحكام القرآن. لبنان، دار الكتاب العربي.
- القشيري، مسلم بن الحجاج. (1388 هـ). صحيح مسلم. بيروت، دار احياء التراث العربي.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد. (1409 هـ). مصنف ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد.
- العسكري، أبي هلال الحسن عبد الله بن سهل. (2010). الفروق اللغوية. بيروت، دار الكتب العلمية.
- قطب، سيد. (2003). في ظلال القرآن، دار الشروق.